الشاعر أحمد الصافي النجفي

الدكتور
عبد الرزاق محيي الدين

الكلمة التي القاها الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي في الاحتفال الذي اقامته وزارة الاعلام في ١٢-٢-٧٨ بمناسبة ذكراه

حين نحتفي بذكرى الشاعر أحمد الصافي نحتفي بالعربية أمة محررة شاعرة، وحين ننسبه للنجف ننسبه لمدينة مقدسة طاهرة، وحين نصله بالشعراء من معاصريه نصله بالنخبة العزيزة النادرة . انه شاعر والشعراء المجيدون في العربية كثيرون ، ولكنه من القلة المتميزة بين الكثيرين . تميزاً جعله أمة مستقلة . تحيا بروح بدع ، ومزاج فريد .

إنه قومي والقوميون كثيرون ، ولكن قوميته قومية معدن . لا يحتاج لأن يكونها الى تصيير وتعدين ، ولا الى أن نتبينها الى اشهاد وتوثيق . بدايتها خالقه ، واستمرارها استمرار وجوده : صبياً في المهد ، طفلاً في الكتاب ، فتى في النديّ ، جندياً في ثورة العشرين ، يهرب فتهرب معه لاجئاً سياسياً الى فارس . فلا يخفي قوميته هرب ، ولا يخيفها لجوء ، وتظل ماثلة (على الغربة) عربية الوجه واليد واللسان ، مشيداً بشمائل أمته ، وبروحها السمحة في قصائد ومقطعات مأثورات حسان .

أيها السادة الأعـــلام

اسمحوا لي في موقفي هذا أن أجتزىء بانطباعات شخصية عن شعر الرجل، ومزايـــا شعره ، اذ الحديث عما قيل فيه ، وما يمكن أن يقال فيه أمر يطول ، ولا يصحّ في

حفل تأبين عرضه واستعراضه . قلت انطباعات شخصية لأنها وليدة فهم شخصي ، وممارسة ذاتية ، لي غنم صوابها ان كانت صوابا ، وعليّ جرم خطئها ان كانت خطئا .

يجيء الشاعر أحمد الصافي — من حيث زمنه — في الرعيل الثاني من شعراء العراق المحدثين لهذا القرن ، حيث تقدمته كوكبة سابقة كانت الرعيل الأول وهم ، الرصافي والشبيبي والزهاوي وعلي الشرقي . من أبرز أفراد الرعيل الثاني الأستاذ محمد مهدي الجواهري ، فأحمد الصافي ، فحافظ جميل ، فآحاد من الشعراء العراقيين لم تجمعهم بعد ثورة العشرين .

هؤلاء في تقديري يمثلون الحلقة الأخيرة في سلسلة الشعراء المخضرمين، الذين تخلقت في شعرهم أثارة من عهود سابقة ، تتمثل في الاسلوب، وفي بعض الأغراض ، الى سمة من جدة جعلت شعرهم يختلف عن سابقيهم في الأسلوب وفي الأغراض .

مع التقاء تلك الكوكبة على صعيد المخضرمة بين عهدين ، واحتفاظهم بأثارة من عهود سابقة، ومشاركة الصافي لهم في جانب واسع من صنيعهم، فان للصافي سمات متميزة تفردت عنهم وعن سابقيهم ، بل تفرده عن لاحقيه أيضا ممن خلصوا الى الشعر الجيد الجديد .

من تلك السمات :

١ : الخلوص من المناسبات ، اذ ان شعره كاد يخلص من الاستجابة للمناسبات الحادثة : حدثا فرديا ، مناسبة اجتماعية ، أي مؤثر خارجي يكون وسيطا بين الشاعر وقول الشعر . ان حاله مع المناسبة شبيه بحال السيدة المتصوفة (رابعة العدوية) وقد سئلت : أتحبين محمدا ؟ يريدون الرسول الكريم . فأجابت شغلني حبّ الله عن حبّه . لعلّ الصافي شغل بالشعر عن المناسبات التي تدعو اليه .

٢ : الاتسام بجدة المعاني وابتداع الاخيلة، بحيث تستطيع أن تزعم — بلا كبير تحرج انه لا تخلو قصيدة أو مقطوعة في بيت أو أبيات من معنى لم يسبق له ، أو من معنى اهتدى اليه بتوليد لم يسبق اليه. مثل هذا الزعم (وبكثير من الترخص) لا

تستطيع أن تذهب اليه في أيّ قصيدة أو مقطوعة لشاعر غيره في القديم والحديث، فأخذ شاعر عن شاعر وحديث من قديم سنة متابعة يسنن بها جملة الشعراء .

٣ : من مميزات شعره أن معناه يكاد يستقل عن عبارته . بحيث لا تشهد بهـا ذلك الالتحام البنيوي بين معناه وعبارته ، ولا تلك اللزومية التي لا تعوض بها لفظة عن لفظة ، وتركيب عن تركيب ، وهي خاصية يندر أن تجدها في الأساليب الأدبية العربية وفي الشعر بخاصة .

فالشعر عامة والعربي منه بخاصة تقوم الفنية فيه : ويقع موطن العجب منه في التلاحم المتكافل بين الألفاظ والمعاني . بحيث لو فككت اجزاءه غابت الفنيسة وتلاشى موطن العجب ، وليس الأمر كذلك في شعر احمد الصافي .

ان الصلة بين شعره ومعناه صلة دلالة وليست صلة كفالة ، لذلك صلح شعره للترجمة لأنه يجد الدلالة في أيّ لغة ، ولا يحتاج الكفالة وقد استغنى عنها في لغته

هذا الذي قلناه في شعره لا يقال في جملة الشعر العربي الا فيما ندر ، لأن بناء الشعر العربي من مؤديات معناه ومن أسباب فنيته .

٤ : ومما يحمد لشاعرنا الصافي — وهو من دعاة التجديد في الشعر — انه وقف في وجه أي تجديد يؤدي الى الانحراف بالشعر العربي من أصالته وعموديته . ولم يخدع باللعبة التي خدع بها كثيرون — ولم يرهبه الارجاف والتهويل بان دولة الشعر العمودي قد اذيلت ، وحلّ محلها دولة للشعر بلا عماد وأوتاد .

أيها السادة الأعلام :

تلك انطباعات (وان كانت شخصية) يصلح كل منها أن يكون مادة بحث ، وفصلا من كتاب ، ومدخلا الى شعر الرجل ومقوماته وخصائصه ومميزاته . أضيف الى ذلك انه كان ديّانا بالله ورسله وكتبه وباليوم الآخر ، مؤمناً بالاسلام : شريعة جده ووديعة آله ، عربيا لم تتغوله عجمة ، قوميا لم تساوره ردة ، عراقيا لم ينسه العراق طويل هجرة ومديد

فرقة ، غنيا عن الناس ، كريما عليهم ، حبيبا لهم ، متصلا بجدد شؤونهم متجافيا عن فضول عيشهم . يتسقط أخبار العراق فيفرح لفرح أهله ، ويحزن لحزنهم .

عاش الوحدة في قبيل من عزّته وكبريائه . والعزلة في مجتمع أنيس من رفاق تأملاته ، والعزوبة في زيجة (لا بينونة معها) بالمعاني الحسان من مثانيه ومقطعاته .

مات موفور العرض ، حميد الذكر من أبناء أمته ، معزّز الجانب مكرّمه من قيادة شعبه ، وسلطات حكمه ، مؤمّنا على بقاء أبديّ برصيد عال من دواوينه الخالدات ، وأبياته السائرات .

عبد الرزاق محيي الدين

بحوث اعضاء المجمع العلمي العراقي

التي القيت في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي المنعقد في بغداد بين ٤ و ٧ آذار ١٩٧٨